مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 144- 153

ماهية الإبداع الشعري في كتاب شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده الأندلسي

What is the poetic creativity in " expound the problematic From the poetry of the Mutanabbi" of Ibn Sidhe.

فريدة مقلاتي
meguellati.farida@univ-khenchela.dz
جامعة عباس لغرور - خنشلة/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/28 تاريخ القبول: 2020/09/20 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

إن الإبداع الشعري عملية غامضة ومعقدة، وهذا ما جعلها محط اهتمام النقاد حيث حاولوا تفسيرها، وتحديد أبرز مقوماتها، وقد أدركوا أن الموهبة كقوة فطرية غير كافية للإبداع، بل لابد من إتقان أصول الصنعة الفنية، فهي من المطالب الأساسية؛ لأن الإبداع الشعري يستمد قيمته الفنية من هذه الصنعة، حيث تسهم بشكل كبير في تحديد أبعاده الجمالية التي تسعى إلى تحقيق التأثير في المتلقي، وهذا ما تجلى في شرح ابن سيده للشعر في كتابه الموسوم بـ: "شرح المشكل من شعر المتنبي" .

الكلمات المفتاحية: إبداع، شعر، نقد، المتنبي، ابن سيده.

ABSTRACT:

Poetic creativity a mysterious and complex process, this is what made it the focus of attention of critics they realized that talent as an innate force is not sufficient for creativity, but it is necessary to master the origins of artistic work; poetic creativity derives its artistic value out from him, contributes to defining its aesthetic dimensions this is evidenced in by the explanation of " Ibn Sidhe, of poetry in : “expound the problematic From the poetry of the Mutanabbi” Where he gave critical reflect his understanding for essence of poetic creativity.

Key words: creativity, poetry, criticism, Al-Mutanabbi , Ibn Sidhe.

1-مقدمة:

إن الإبداع الشعري نشاط إنساني واع إذ لا يعتمد على الموهبة كقوة فطرية يولد بها الإنسان؛ لأنها غير كافية لتحقيقه، بل لا بد من معرفة أصول الصنعة الفنية، فالإنسان الذي يمتلك موهبة تساعده على تحقيق الإبداع من الضروري له صقلها بالمران والدربة، ومعرفة أهم التقانات الأساسية التي تعضدها وتوجهها، وهذا يعني أن الإبداع الشعري يحتاج إلى الطاقة الفطرية التي تعد سر الإبداع الشعري الجيد، ويحتاج أيضا إلى الصنعة التي تعد قدرة مكتسبة، وهي بدورها مطلب أساسي لإنتاج الخطاب الإبداعي المتفرد والمتميز بالانسجام والتعالق، ولا يتحقق هذا التفرد والتميز إلا بالبحث عن «علاقات ومتعلقات ووظائف جديدة ثم إبداء الصيغة الصالحة لتجسيم هذه العلاقات ولإبراز هذه الوظائف»[1]، وهذا يعني أن الإبداع لا ينشأ من فراغ، بل لابد له من جناحين الأول فطري أو طبيعي، أو استعداد شخصي، والثاني صقل هذه الموهبة أو الفطرة وتنميتها وتوجيهها الوجهة المناسبة[2]، ولكن على الرغم من ذلك تبقى عملية الإبداع معقدة، وبخاصة فيما يتعلق بالموهبة الفطرية وطبيعة عملها فكيف فسّر ابن سيده هذه العملية المعقّدة من خلال خطابه الشّارح لشعر المتنبي؟ وما هي علامات الإبداع في الشّعر حسب تصوره؟

والدراسة اعتمدت المنهج الوصفي **لتقريب تصور ابن سيده وتفسيره لتبيان قيمة نظراته النقدية التي تنمّ عن وعيه بالإشكالات النقدية المرتبطة بالنص الشعري.**

2- مفهوم الإبداع:

جاء في معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس أن الإبداع هو إيجاد الشيء من العدم، دون الاعتماد على نموذج سابق، إذ يقول: «بدع الباء والدال والعين أصلان أحدهما ابتدأ الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، والآخر الانقطاع والكلال»[3]، كما ورد في لسان العرب أن الإبداع هو إيجاد الشيء من لا شيء، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال سابق، وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر: أي أول لم يسبقه أحد.[4] ونستشف من قول **"ابن منظور"** أن الإبداع هو الإتيان بالجديد دون الاحتذاء بنموذج أو مثال سابق، وهذا يعني أن مدلول كلمة "الإبداع" من الناحية اللغوية تعني إيجاد شيء جديد على غير مثال سابق.

ووردت كلمة "بدع" بمعنى الخلق في القرآن الكريم[5]، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة البقرة/ الآية 117)، وقال: ﴿بديعُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِ شيءٍ عليم﴾(سورة الأنعام/ الآية 101)، والإبداع أعمّ من

الخلق لذا قال: ﴿بديع السموات والأرض﴾، وقال: «خلق الإنسان»، ولم يقل بدع الإنسان وبذلك فالإبداع في الآيتين هو أن الله بدع السموات على غير مثال سابق.

وقد وظف "الجاحظ" (ت 255هـ)مصطلح البديع في قوله: «ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب أو معنى غريب عجيب، أو بديع مخترع إلا كل جاء بعده أو معه إن هو لم يعدُ على لفظه فيسرق بعضه أو يدّعيه ... »[6]. ورد ملفوظ "البديع" هنا بمعنى المبتكر الذي لم يسبق إليه.

وقد أقر النقاد القدماء بضرورة الجمع بين الأسس الفطرية والمكتسبة في العملية الشعرية، فالشاعر المبدع عند ابن قتيبة (ت276هـ) «هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر»[7]، وهذا القول يوضح مدى وعي النقاد القدماء بطبيعة الإبداع، فهم لا يؤمنون بالقوى الخفية التي تلهم الشاعر القول، بل الوعي والإدراك يلعبان دورا هاما في هذه العملية المعقدة، ولهذا فإن الفارابي (ت 339هـ) يفضل الشاعر الذي يعتمد على طبعه، ومعرفته بصناعة الشعر على الشاعر الذي يعتمد فقط على جودة طبعه وحدها.[8] كما نجد أيضا أبا حيان التوحيدي (ت 414هـ) بدوره يقر أن الأدب يقوم على ركيزتين أولهما الطبع، ثم الجهد والدراسة والمران[9]؛ لأن المبدع إذا اعتمد على طبعه فقط، وأغفل جانب الدربة والاكتساب لا يحقق الجودة المقصودة، وربما طلب المعنى، ولم يصل إليه، لذلك يجب تقويم الطبع وتصحيحه، لذلك فالشاعر لا يصير فحلا عند النقاد القدماء «حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ»[10]. فهذه المعايير تسهم بشكل كبير في صقل الموهبة، ومعرفة سر صناعة الشعر.

وقد فرق "ابن رشيق" (ت 456هـ) بدوره بين الإبداع والاختراع في الأدب بقوله: «والفرق بين الاختراع والإبداع... أن الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله... »[11]. ونعاين من هذا النص أن ابن رشيق ربط الجديد المبتكر المتميز بمصطلح الاختراع، أما فالإبداع عنده فهو الخروج عن العادة والنمطي، والمألوف، وتجاوز المتعارف عليه من المعاني. فالشاعر عنده لا يكون شاعرا إلا إذا شعر« بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني... كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة»[12]. فهذا النص يوضح لنا طبيعة الشاعر، ومميزاته.

ويرى "محمد طه عصر" أن النقاد العرب القدماء قد استخدموا مصطلح "ابتداع": لأنه أكثر دقة في الدلالة على الابتكار الذي يقرب من الخلق، والأصالة، والجدة، لذلك كان يستخدم قديما كمرادف للابتكار والاختراع من ناحية الوزن والمعنى، ومع أن مصطلح ابتداع يشترك مع الإبداع، والبديع في جذر لغوي واحد إلا أن ثمة فرقا دقيقا، إذ يقصد بمصطلح "بدع" مطلق الخلق والإيجاد؛ دون الاهتداء بنموذج ما، أما مصطلح "أبدع" يقصد به الصنع والإيجاد من عناصر موجودة، ومصطلح ابتدع يقصد به ابتكار المعاني واختراعها، والسبق إليها.[13] وبذلك فمصطلح الإبداع في الأدب هو الصنع اعتمادا على العناصر الموجودة، إذ يعمل المبدع على إيجاد علاقات جديدة تضفي الجدة والابتكار على هذه العناصر .

3- تفسير ابن سيده للإبداع من خلال كتابه " شرح المشكل من شعر المتنبي":

يعتمد الإبداع الشعري عند النقاد القدماء على مؤهلات فطرية وأخرى مكتسبة، إذ لا يمكن لأي مبدع أن يستغنيَ عنهما، وهذا يدل على مدى وعيهم بقيمة هذه العملية، وبخاصة أنها عملية داخلية، وهذا ما جعلها نوعا ما غامضة، وتبقى الأحكام التي توصلوا إليها دائما نسبية، حتى وإن استطاعوا إضاءة بعض جوانبها، وقد تفطن ابن سيده (458هـ) [14] في كتابه " شرح المشكل من شعر المتنبي" إلى أهمية هذه القضية، ويمكن استنباط تصوره من خلال خطابه الشارح لشعره، وبخاصة أن هذه الشخصية قد أثير حولها جدل كبير، وقد أثبت في تعليقاته سبق "المتنبي" إلى بعض المعاني، التي من خلالها يمكن لنا أن نستنبط ماهية الإبداع الشعري عند هذا الناقد.

إذا تمعنا شرح ابن سيده نجده قد فرّق بين الخلق البشري، والخلق الإلهي، ويمكن أن نستنبط ذلك من تعليقه على قول المتنبي:[15]

يُرِيكَ من خَلْقهِ غرائبَهُ في مَجْدِهِ كيف يُخْلَقُ النَّسَمُ

حيث علق عليه بقوله: «...وليس الخلق عنده في قوله "يريك في خلقه غرائبه" الخلق الذي هو إيجاد المعدوم وإخراجه إلى التكُّون؛ لأن ذلك لا يستطيع عليه إلا بارئنا جل وعزّ»[16]. وبذلك إيجاد الشيء من العدم ليس من صفات الإنسان، وإنما الخلق حسب ابن سيده في هذا البيت «إنما ... كناية عن الصُنع، وكنّى عنه بلفظ الخلق ذهاباً إلى ابتداع هذه الغرائب، وهذا من شديد المبالغة . وربما كنى بالخلق عن الصنع، وبين الخالق والصانع فرقٌ...»[17]. نعاين من خلال هذا النص أن ابن سيده حاول تفسير مصطلح الخلق الذي ورد في قول المتنبي، حيث وضح الفرق بين الخلق البشري والخلق الإلهي: فالخلق الذي هو إيجاد المعدوم وإخراجه إلى التكُّون؛ أي الخلق من العدم صفة تكون للخالق، وأما الخلق الإنساني يعني الصنع، وهو الإتيان بالغرائب وهذا من شديد المبالغة، وهذه الصياغة لا تكون

إلا للشاعر الحاذق الذي يمتلك الخيال الفني الذي «لا ينفصل عن الواقع ولو كان يعلو عليه بما يمتلكه من قدرة على التّركيب والخلق»[18]، وبذلك فالخلق من العدم لا يصح إلا لله؛ لأنه وحده من أوجد الأشياء من دون أسباب.

وهذا الإبداع الذي حققه الشاعر من خلال المبالغة التي وردت في وصفه للممدوح تدل على قدرة الشاعر على استثمار ما لديه من خيالات وانفعالات، وما تميز به من كياسة، ومعرفته بالعلاقات الخفية، وإعادة إخراجها إلى الوجود بطريقة جديدة متميزة، فيصبح كأنه أول من ابتدعها، وهذا يدل بدوره على أن «الخيال الفنيّ لا يعمل على منوال المنطق المألوف، ولا يرتبط بقوانين المادّة، فهو يعمل على اكتشاف علاقات جديدة، تجمع المتناقضات في وحدة منسجمة متجانسة، كما تتلاقى في ظلّه الأشياء التي يمكنها أن تتلاقى في الوقع المحسوس»[19].

وعليه فالشاعر قادر بدوره على خلق علاقات جديدة من أشياء موجودة لابتكار معان جديدة، لذلك اقترن مصطلح الخلق عند بعض النقاد بالمبالغة، وقد تداخل مع مصطلحات أخرى هي البديع والإبداع؛ ولكن يبقى هناك فرق بين الخلق الفني، والخلق الإلهي؛ لأن الخلق الفني يتسم بالصفة البشرية، ولكن كلمة الخلق أيضا استعملها النقاد في المجال الأدبي؛ لأنهم أيقنوا بأنها كلمة متسعة تشمل أمرين: «أحدهما تأسيس الشيء لا عن مادة، ولا بواسطة شيء، والثاني أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب، بلا متوسط وله في ذاته أن لا يكون موجوداً، وقد أُفقد الذي له في ذاته إفقادا تاما... فقد يقال (خلق) لإفادة وجود كيف كان، وقد يقال (خلق) لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان، وقد يقال (خلق) لهذا المعنى الثاني **لكن بطريق الاختراع من غير سبق مادة فيها قوة وجوده وإمكانه**»[20].

فالمبدع يكون قادرا على الإبداع إذا استطاع الإتيان بتراكيب لا وجود لها في الحقيقة بالرغم من أن ألفاظها موجودة لم يبتدعها، ولكنه بفطنته أوجد لها علاقات جديدة ونظمها على نحو متفرد، وهذا هو المقصود بالخلق الفني عند النقاد القدماء.

وهذا يعني أن هناك نوعين من الجمال «الجمال الطبيعيّ هو من صنع الطّبيعة والجمال الفنيّ هو من صنع الإنسان،أي إنّه جمال مبتدع، مكتشف، مخلوق، إنّه انعكاس النّفس على الطبيعة»[21]، ويبقى الجمال الفني «هو ضرب من الجمال النّفسي الّذي يبدعه الإنسان من خلقه لمثال الأشياء»[22]. وبذلك استطاع المتنبي حسب ابن سيده أن يأتي بتراكيب لم تعرف من قبل فأغرب بذلك، فهو مبدع؛ لأنه أول من سبق إلى إقامة تراكيب جديدة من خلال إيجاد علاقات جديدة لها، ونظمها على نحو لم يسبقه إليه أحد، ومن ذلك قوله:[23]

كَأَنَهَا في نَهَارِهَـا قَمَرٌ حَفَ به من جِنانِها ظُلَمُ

ناعِمَةُ الجِسمِ لا عِظامَ لَها لَها بَناتٌ وَما لَها رَحِمُ

يصف المتنبي في هذه الأبيات حسب "ابن سيده" بحيرة فشبه استدارتها بالقمر وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد، كما أنها ناعمة الجسم وبناتها السمك فهي أمهن وما لها رحم (لها بنات وما لها رحم) وقد أغرب بذلك حسب تصوره؛ لأن البنات مولودة، ولا تلد إلا الرحم، وبذلك فالمتنبي قد أغرب بقوله (وما لها رحم).[24]

وبذلك قد استطاع المتنبي أن يبدع من خلال استخدامه لمفردات موجودة (بنات، رحم...) لم يبتدعها إنما استطاع بفضل حسه الفني، وذوقه وفطنته أن يخلق تراكيب جديدة استطاعت أن تخلق معاني جديدة لا وجود لها في الواقع، فأوجد معاني جديدة بعلاقات جديدة، وبذلك قد سبق وتفنن في إيجاد هذا المعنى الجديد الذي دل على حذقه، وقدرته على تحقيق الإبداع من خلال الموهبة التي طعمها بأصول الصنعة الفنية.

وكذلك قول المتنبي: [25]

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَي المَوْتَ مُبْتَسِمَا حَتَّى كَأَنَّ لَهُ في قَتْلِهِ أَرَبا

وعلق على قول المتنبي بقوله: «إلا أن أبا الطيب أغرب بقوله: (مبتسما)، فهو أبلغ في قلة المبالاة بالمنية... لأن الابتسام مشعر بلذة نفسانية».[26] فابن سيده استخدم لفظة "أغرب" ليدل به على إبداع المتنبي، وتجاوزه للمألوف، وبخاصة أن مصطلح "الغرابة " ارتبط – وهو من أكثر المصطلحات شيوعا في التنظير النقدي القديم- بالإبداع الفني، وهذا ما أقر به الجاحظ بقوله: «إن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع»[27].

فالشاعر إذا أغرب في شعره أبدع وأحسن، ونجد أيضا حازما قد ركز في تعريفه للشعر على عنصر الغرابة، حيث يقول:« الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه... بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة... وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها»[28].

نعاين من خلال النص أن الناقد قد جعل الغرابة علامة للشعر الجيد، « فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته وقويت شهرته أو صدقه أو خفي كذبه وقامت غرابته»[29]. نعاين إقرار حازم بضرورة الغرابة في القول الشعري؛ لأنه نظر إليه بوصفه خطابا خاصا له مسلك في الأداء يختلف عن مسالك الخطابات اللغوية الأخرى.[30] ، وقد تحدث عن بعض هذه الصور مفسرا مظاهر الغرابة فيها إذ أن المحاكاة تكون فيها على غير ما ألف، ومن ذلك قول أبي عمر بن دراج:

وسلافةُ الأعناب يَشعَلَ نارُها تُهدي إلَيَّ بيانع العُناب

فالمألوف أن يذوي النبات الناعم بمجاورة النار لا أن ينمو فأغرب في هذه المحاكاة[31]. فالصورة الشعرية في هذا البيت تكشف عن علاقات جديدة تختلف عن العلاقات التي تضفيها عليها العادة؛ لأن المألوف أن لا ترتبط حياة الموجودات بالنار التي تحرق وتحول كل شيء إلى رماد، بل الماء هو أصل كل شيء حيّ، فالشاعر أعاد بناء علاقات الوجود بطريقة تدعو إلى الدهشة والتعجيب، فالغرابة من شأنها أن تحقّق نوعا من الغموض، ولكنه لابد أن يكون غموضا إيجابيا.[32]

ولا تتحقق الغرابة في النص إلا من خلال ظاهرة الانحراف في اللغة والتجديد في المعاني، وقد جنح المتنبي حسب ابن سيده إلى التجديد في المعاني والابتكار فيها حتى أصبحت الغرابة علامة له، فكان له الفضل في ابتكار بعض المعاني، ومنها قول المتنبي:[33]

لَيْسَ كَمَا ظَنَّ غَشْيَةٌ عَرَضَتْ فَجِئْتَنِي فِي خِلاَلِهَا قَاصِد

وقد علّق عليه بقوله: «وعيادة الخيال إياه في تلك الحال (خلال الغشية) أبلغ، وأعرف من عيادته في حد النوم؛ لأن المغشي عليه بمنزلة الميت، والنائم قد يدرك أشياء كثيرة مما يدركه اليقظان كالضحك، الاحتلام، وغير ذلك وما علمنا أحدا من الشعراء ذكر أن خيالا ألمّ به في غشية إلا هذا».[34] إن المتنبي تجاوز في وصفه السائد والمعروف وهو أن الخيال إنما يزور النائم، ولكن الخيال قد زاره، وهو في حالة غشية لا رقدة من شدة الشوق والوجد، وقد انفرد المتنبي عن غيره بهذا الوصف الجديد، وذلك من خلال إقامة علاقة جديدة تنمّ عن تفوقه وتحقيق الإبداع.

ومن إبداعه أيضا قول المتنبي:[35]

مَرَتْكَ ابنَ إبرَاهيمَ صَافيةُ الخَمْرِ فَهُنِّئتَهَا من شَارِبٍ مُسْكرِ السُّكْرِ

يرى ابن سيده أنه «قال مُسْكر السّكر، ولم يقل مُسْكر الخمر؛ لأن إسكاره السكر أبلغ من إسكاره الخمر، وهو أذهب في الشعر، وأغرب؛ لأن العَرَض لا يحمل عَرضًا».[36]

فهو قد أغرب بقوله: "مسكر السكر" فهو خرج عن المألوف والعادة، وأقام علاقة جديدة بين السُّكر والسكَر. كما عمد ابن سيده إلى تبيان إعجابه باستعمال "المتنبي" للمنطق في شعره، وتجلى ذلك في قول المتنبي: [37]

ولا قطعي بك الحديد عليها فكلانا لجنسه اليوم غاز

وعلق عليه ابن سيده مبينا إعجابه به، حيث يقول: «من أبدع الصنعة مثل نفسه بذاته في سيفه بذاته ثم عرضه المتصل به لا يتعداه كالبرق والصليل في عرضه الذي يوقعه بغيره عن حركة واستعمال، وهوة قطعة الحديد، فقدم ما هو من الذات لا يتعداها وآخر ما يتعدى الذات».[38] أبدع المتنبي بأن جعل نفسه بذاته في سيفه بذاته فكلاهما يسعيان لتحقيق أمر واحد، وهو مقاتلة الآخر

من الجنس نفسه، وعليه فالإبداع تجلى في المعنى الجديد الذي جاء به المتنبي من خلال علاقات جديدة أقامها بين الألفاظ.

ونستشف مما سبق أن الإبداع عند ابن سيده هو قدرة الشاعر على التشكيل من مادة موجودة، واقتلاع المفردات من دلالتها المعجمية، وتناسقها المنطقي، وإعادة صياغتها في تركيبة جديدة على غير مثال سابق.

كما ربط النقاد الأندلسيون الإجادة والإبداع بالوضوح، وقد أورد ابن سيده بدوره بيتا للمتنبي بغية تقرير فكرته، حيث يقول المتنبي:[39]

هو الشجاعُ يَعِدُّ البُخل من جبُنٍ وَهُوَ الجَوادُ يعد الجُبنَ من بَخَلِ

وقال أيضا:[40]

فقلتُ: إنَّ الفتى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ في الشُّحِ صُورَةَ الفَرَقِ

ولكن ابن سيده يرى أن ابن الرومي قد لخص هذا المعنى وسهلَه أكثر يقول:

البخل جبن والسماح شجاعة لا شك حين تصحح التحصيلا

جبن البخيل من الزمان وصرفه فتهيب الإفضال والتنويلا

فوضوح المعنى حسب ابن سيده لا يتم إلا إذا كان الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد لا توعّر فيه، فالمبدع لابد أن يقدم نصّه في صورة متناسقة ومنسجمة من ناحية المعنى واللفظ؛ أي تحقيق التعالق والتوازن بين الشكل والمضمون، ويتضح من موقف ابن سيده أن المبدع عليه أن يختار من ألفاظ اللغة ما يناسب المعاني، وأكثرها دلالة عليها، والأبلغ في التصوير، والأحسن في النسق. كما عمد ابن سيده إلى عقد موازنات بين معاني المتنبي، وبعض القدماء منهم امرؤ القيس لتوضيح تصوراته النقدية، ومن هذه الموازنات، يقول المتنبي:[41] **وعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ التَّتْفُلِ**

وكقول امرئ القيس: [42] **بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ**

وقد علق ابن سيده بقوله: «أي أن هذا الفرس قيد للوحش فكذلك هذا الكلب عقله للظبي وحتف التتفل».[43] وقول المتنبي أيضا:[44]

يَتَقَبَّلُونَ ظِلالَ كُلّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ

إذ يرى ابن سيده أن قوله (ربقة السرحان) كقول امرئ القيس (قيد الأوابد) وزاد عليه (أجل الظليم) فبيته هذا الأخير مكافئ لبيته؛ لأن الحتف كالأجل، والربقة كالعقل وصح له الشرف على امرئ القيس.[45] وعليه فالإبداع عنده يعني الاعتماد على المعنى السابق، والزيادة عليه حتى يصبح المعنى

الجديد أشرف، وأقوى من ناحية الدلالة، وبذلك يصبح للمتنبي شرف الزيادة والإجادة في الوقت نفسه.

4- الخاتمة:

نعاين مما سبق أن لفظ "أبدع" حسب تصور ابن سيده هو الخروج عن العادة والمألوف، وتجاوز المتعارف عليه من المعاني، أما "أغرب" يعني المبالغة الشديدة، ولا تتحقق الغرابة عنده في النص إلا من خلال ظاهرة الانحراف في اللغة والتجديد في المعاني، ولكن يبقى هذا المصطلح علامة دالة على الشعر الجيد المتفرد؛ أي يحقق التميز والفرادة للخطاب الشعري عن غيره من النصوص اللغوية الأخرى، وبذلك تصبح الغرابة علامة له. أما مصطلح الخلق فقد حدده من خلال تبيان الفرق بين الخلق البشري والخلق الإلهي؛ فالخلق من العدم صفة تكون للخالق، وأما الخلق الآخر هو الصنع .

كما أن المبدع حسب تعليقات ابن سيده على "شعر المتنبي" لا يمكن أن ينطلق من فراغ ليؤسس شيئا جديدا؛ أي أن يخلق من العدم، بل له خلفيات ابستمولوجية يعتمد عليها وينحت منها شيئا مبدعا سواء بالتحسين أو الزيادة، والإبداع عنده لا يتحقق إلا إذا تمكن المبدع من صياغة نصه في صورة متناسقة من ناحية المعنى واللفظ؛ أي تحقيق التوازن بين الشكل والمضمون.

الهوامش:

1-مراد، يوسف، (1966م) مبادئ علم النفس العام، دار المعارف،ط5، ص؛ 267.

2 - ينظر، خفاجي، محمد عبد المنعم، (2002م)، عبقرية الإبداع الأدبي: أسبابه وظواهره، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، إسكندرية، ط1، ص؛ 9.

3 - ابن فارس، أبو الحسن بن أحمد، (1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة (ب د ع)، ج1، دار الفكر، بيروت، دط، ص؛ 209.

4- ابن منظور، (1995م)، لسان العرب، (مادة ب د ع)، مج 8، دار صادر بيروت، ط1، ص؛ 6.

5 - ينظر، نفسه، ص؛6.

6 - الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان،ج3. ص؛ 311.

7 - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (1985م)، الشعر والشعراء،ت: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص؛ 29.

8 - ينظر، المرجع نفسه، ص؛ 118.

9 - ينظر، عبد القادر هني، (1999م)، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص؛ 117.

[10]-ابن رشيق ،أبو الحسن، (1972م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ج1، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4،ص 197

11 - نفسه ص؛ 295.

[12]- ابن رشيق القيرواني،: العمدة، ص؛ ص116

13 - ينظر، عصر، محمد طه، (2000م)، مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب ، ط1، عالم الكتب، بيروت، ص؛ 18.

[14]- ابن سيده (398هـ/458هـ): علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، أبو الحسن إمام في اللغة وآدابها ولد بمرسية في شرق الأندلس، كان ضريرا، اشتغل بنظم الشعر مدة، ثم انقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، وتوفي في دانية، من مصنفاته: المخصص في سبعة عشر جزءا، و"المحكم والمحيط الأعظم"، وشرح المشكل من شعر المتنبي، والأنيق في شرح حماسة أبي تمام.(ينظر، خير الدين، الزركلي (2002)، الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط15، ص؛ 263).

15 - المتنبي، (2010م)، الديوان، ج4، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، دط، ص؛ 63.

16 - ابن سيده (1996م)، شرح المشكل من شعر المتنبي ، ابن سيده: شرح المشكل من شعر المتنبي، تحقيق مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، دط، 1996م، ص؛ 81.

17 . المصدر نفسه، ص؛ 81.

18 - الحاوي، إيليا، (1979م)، في النقد الأدبي ،ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 4، ص؛ 9.

19 - كريب، رمضان، (2009م)، فلسفة الجمال في النقد الأدبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص؛ 143.

20 . الغزالي، (أبو حامد)، (2013م)، معيار المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2 ، ص؛ 284

21 - الحاوي، إيليا ، في النقد الأدبي، ص؛14.

22 - المرجع نفسه، ص؛ 15.

23 - المتنبي، الديوان، ج4، ص؛ 68.

24 - ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 29.

25 - المتنبي، الديوان، ج1، ص؛121.

26 . ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 86.

27 - الجاحظ، البيان والتبيين ،ج1، ص؛ 50

28 - القرطاجني، حازم، (1966م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الكتب الشرقية، تونس، دط، ص؛ 71.

29 - المرجع نفسه، ص؛ 71.

30 - الخرازي، بديعة، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس،ص؛ 351.

31 - ينظر، القرطاجني، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.. ص؛ 127.

32 - ينظر، الخرازي،بديعة (دت)، مفهوم الشعر عند نقاد المغرب والأندلس في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة نقدية وتحليلية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، ص؛ 354.

33- المتنبي: الديوان، ج2، ص؛ 81.

34- ابن سيده: شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 337.

35- المتنبي: الديوان، ج2، ص؛ 137.

36- ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 163.

37 - المتنبي: الديوان، ج2، ص ؛ 176.

38 . ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 25.

39 - المتنبي الديوان، ج3، ص؛ 38.

40 - المصدر نفسه، ج2، ص؛ 372.

41 - المتنبي الديوان، ج3، ص؛ 206.

42 - امرؤ القيس (2004م)، الديوان، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، 2004م، ص؛ 53.

43 - ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 99.

44 - المتنبي الديوان، ج3، ص 179.

[45]- ينظر ابن سيده، شرح المشكل من شعر المتنبي، ص؛ 99.